مترجم

هل تكلفة اغتيال فخري زاده تفوق الفوائد؟

إعداد: شلومو بروم ، شمعون شتاين

المصدر: معهد دراسات الأمن القومي

7كانون[1] 2020

إلى جانب القضايا السياسية المحيطة باغتيال «أبو القنبلة الإيرانية»، هناك تساؤلات تتعلق بضرورة الفعل وقيمته. هل ستبطئ البرنامج النووي الإيراني بدرجة كبيرة؟ هل كان الأمر يستحق ردود الفعل الغاضبة في جميع أنحاء العالم والانتقام المتوقع من الجمهورية الإسلامية؟ النظر في هذه الأسئلة من منظور "أقل شعبية".

الافتراض السائد في وسائل الإعلام الإسرائيلية والدولية، وبين الحكومات حول العالم، هو أن اغتيال رئيس المشروع النووي العسكري الإيراني، محسن فخري زاده، نفذته إسرائيل. إذا كان الأمر كذلك، فإن تكاليف وفوائد الاغتيال من وجهة نظر إسرائيل يجب أن تدرس وتوزن. ولهذه الغاية، يجب الإجابة على أسئلة معينة: ما هو الهدف الاستراتيجي لهذا الإجراء، وما هو احتمال نجاحه النهائي؟ في ضوء هذا الهدف، هل كان توقيت الإجراء صحيحًا؟ وأخيراً، هل التكاليف المحتملة أكبر أم أقل من الفوائد المتوقعة؟ ويخلص هذا المقال إلى أنه في قضية مقتل فخري زاده، من المشكوك فيه أن الفوائد تفوق التكاليف، ومن غير الواضح أن الاغتيال سيخدم بشكل كبير هدف الإضرار بالبرنامج النووي الإيراني وتأخيره.

ولم تعلن أي جهة حتى الآن مسؤوليتها عن اغتيال محسن فخري زاده، رئيس مشروع السلاح النووي الإيراني، لكن الافتراض السائد في كل من وسائل الإعلام الدولية والإسرائيلية وبين الحكومات حول العالم هو أن إسرائيل مسؤولة. هذا الافتراض يتطلب منا تقييم تكاليف وفوائد قرار إسرائيلي بتنفيذ الاغتيال. ولهذه الغاية، يجب الإجابة على أسئلة معينة: ما هو الهدف الاستراتيجي لهذا الإجراء، وما هو احتمال نجاحه النهائي؟ بالنظر إلى هذا الهدف، هل كان توقيت الإجراء صحيحًا؟ وأخيراً، هل التكاليف المحتملة أكبر أم أقل من الفوائد المتوقعة؟

إذا كانت إسرائيل مسؤولة بالفعل عن اغتيال فخري زاده، فمن المحتمل أن يكون قرار اتخاذ هذا الإجراء قد تم بموافقة إدارة ترامب وبالتنسيق معها، قبل أقل من شهرين من دخول الرئيس المنتخب جو بايدن إلى البيت الأبيض. ربما قامت إسرائيل والولايات المتحدة بمناقشة وتنسيق الضربة خلال الزيارة الأخيرة لوزير الخارجية مايك بومبيو إلى المنطقة، في 18-21 تشرين الثاني (نوفمبر) 2020. وربما كان هناك أيضًا مستوى معين من التنسيق مع القيادة السعودية أثناء الزيارة السرية. اجتماع ثلاثي في مدينة نيوم بالسعودية ضم رئيس الوزراء الإسرائيلي إسرائيل بنيامين نتنياهو. التنسيق والموافقة من الولايات المتحدة ضروريان، بالنظر إلى أن الولايات المتحدة ودول الخليج قد تدفع بعضاً من ثمن الرد الإيراني المتوقع.

الهدف الضمني غير المعلن، وإن كان في غياب إعلان المسؤولية، هو الإضرار بالمشروع النووي الإيراني، وتأخير تقدمه، وربما ردع إيران عن الاستمرار فيه. تم تسريع هذا المشروع، الذي كان من المقرر تجميده لأكثر من عقد في إطار خطة العمل الشاملة المشتركة (JCPOA) الموقعة مع إيران في عام 2015، من جديد بعد انسحاب الرئيس ترامب من الاتفاقية. وبحسب آخر تقرير نشرته الوكالة الدولية للطاقة الذرية، فقد راكمت إيران كمية من المواد النووية المخصبة بمستوى منخفض تكفي لواحد، وقريباً رأسان نوويان بعد التخصيب إلى مستوى عسكري، لذا أن زمن اختراق سلاح نووي إيراني قد تم تقصيره بشكل كبير. بالنسبة لترامب ونتنياهو، من المفترض أن يكون للاغتيال هدفان إضافيان: الأول هو جعل الأمر أكثر صعوبة على إدارة بايدن القادمة للوفاء بنيتها في العودة إلى خطة العمل الشاملة المشتركة مع إيران. يتعلق الهدف الثاني بالسياسة الداخلية - تعزيز الدعم المحلي في إسرائيل والولايات المتحدة لنتنياهو وترامب، على التوالي، ولسياساتهما.

وراء السؤال الأخلاقي للاغتيال، هناك مسألة مبدأ: هل القضاء على رؤساء المنظمات أو الأنظمة، أو الأشخاص المركزيين داخلها، يضر حقًا بهذه المنظمات لفترة زمنية ذات معنى؟ سجل عمليات القتل التي بادرت بها إسرائيل مختلط: عمليات القتل عادة لم تلحق الضرر بقدرات المنظمات المهاجمة لفترة طويلة من الزمن، وفي بعض الأحيان حدث العكس. كان هذا هو الحال، على سبيل المثال، في تصفية زعيم حزب الله، عباس الموسوي، عام 1992 ، مما أدى إلى صعود حسن نصر الله. قليلون يجادلون في أن نصر الله كان قائداً أكثر فاعلية من سلفه، وأن قدرات حزب الله قد تحسنت فقط تحت قيادته. علاوة على ذلك، فيما يتعلق بعمليات القتل، من الصعب في الغالب تحديد الإنجازات التي تتجاوز المستوى التكتيكي وفترة زمنية محدودة. ومن الأمثلة على ذلك مقتل قادة حماس في قطاع غزة، الأمر الذي دفع حماس إلى تعليق هجماتها على إسرائيل لفترة، لكن من المشكوك فيه ما إذا كانوا قد غيروا إستراتيجية حماس الأساسية أو أبطأوا نمو القوة في الحركة. على الرغم من الحديث عن أن إسماعيل كاني (خليفة قائد فيلق القدس قاسم سليماني) يفتقر إلى الكاريزما والعلاقات مع قادة النظام الإيراني، فمن الصعب الإشارة إلى تغييرات جوهرية في استراتيجية إيران وعملياتها في جميع أنحاء الشرق الأوسط بشكل عام و عمليات فيلق القدس على وجه الخصوص منذ مقتل سليماني.

في حالة البرنامج النووي الإيراني، شهدت بداية العقد الماضي حملة اغتيال ضد علماء نوويين إيرانيين. لا يوجد دليل على أن هذه الحملة تسببت في تأخير كبير في البرنامج أو ردع العلماء النوويين الإيرانيين عن المشاركة في هذا البرنامج النووي. بدلاً من ذلك، ساهمت الأنشطة السياسية الهادفة إلى منع التعاون مع إيران، والتعرض

للمعلومات الاستخباراتية، والعقوبات، والعمليات السيبرانية، وفي نهاية المطاف خطة العمل الشاملة المشتركة، بشكل أكبر بكثير لإبطاء البرنامج وردع إيران عن الانزلاق إلى سلاح نووي، بدافع القلق بشأن التكاليف المحتملة. للتقدم مع البرنامج. يبدو أنه في وقت هذه الاغتيالات، كان المشروع الإيراني واسع النطاق وناضجًا للغاية بحيث لم يكن هناك تأثير جوهري على عمليات قتل قليلة. أما بالنسبة لفخري زاده، فيَصوّر على أنه قائد ذو شخصية جذابة وفاعلية للمكون العسكري للمشروع ويبدو أنه لا يمكن الاستغناء عنه. لكن هل هذا صحيح؟ أم أن هذا التقدير نابع من الميل إلى تمجيد العدو أمامنا؟ تعلمنا التجربة أنه لا توجد طريقة لمعرفة ما إذا كان الخلف سيكون أفضل أم أسوأ من سلفه.

تؤثر مسألة التوقيت على حساب التكلفة والعائد. يمكن القول إن الاغتيال لم يكن ممكناً إلا قبل دخول بايدن البيت الأبيض، حيث من المفترض أن الرئيس الجديد لم يكن ليوافق على مثل هذا الإجراء. وبالتالي، إذا كان للإجراء قيمة فإنه يكون فقط ضمن هذا الإطار الزمني. إلا أن هذا الادعاء يعتمد على افتراض عدم إمكانية إبطاء المشروع النووي الإيراني من خلال اتفاق بين إيران والقوى العالمية. هذا الافتراض يتناقض مع نجاح الاتفاقية القائمة في إبطاء المشروع على الأقل لفترة محدودة، كما يتعارض مع فرص نجاح الإدارة الأمريكية الجديدة في تجديد الاتفاقية السابقة وحتى تحسينها وتوسيعها في مجالات إضافية. وبالمثل، ينكر أن الولايات المتحدة يمكن أن تبدأ عملية مصالحة مع إيران، والتي من شأنها على المدى الطويل تأخير وإلحاق الضرر بالمشروع بشكل أكبر، حتى لو كانت احتمالات مثل هذا الاحتمال ضئيلة. كما تتجاهل الحجة احتمال فشل جهود الإدارة الجديدة للتوصل إلى اتفاق مع إيران حتى بدون الاغتيال، ويرجع ذلك جزئيًا إلى التغيرات السياسية داخل إيران وفي العلاقات الإيرانية الأمريكية منذ انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي و تجديد العقوبات على إيران. فمن ناحية، ازداد عدم ثقة إيران بالولايات المتحدة ونظامها السياسي بشكل كبير. لا أحد يستطيع أن يضمن لإيران أن الإدارة الجديدة في غضون أربع سنوات لن تعود إلى سياسة ترامب. من ناحية أخرى، عززت هذه التطورات إلى حد كبير مكانة المتشددين في إيران الذين يعارضون أي اتفاق نووي على الإطلاق، وفي الانتخابات الرئاسية الإيرانية المقبلة، المقرر إجراؤها في يونيو 2021، من المرجح أن يخرج مرشح محافظ منتصر. يُفترض أن عملية اغتيال من هذا النوع ستأتي بثمن أقل إذا حدثت بعد أن حاولت إدارة بايدن وفشلت في التوصل إلى اتفاق مع إيران.

في المقابل، من المرجح أن يؤدي التوقيت الفعلي للاغتيال إلى تكاليف سياسية باهظة، وخاصة إذا أدى الاغتيال إلى تورط الولايات المتحدة في حرب في المنطقة (على الرغم من أن مثل هذا السيناريو يبدو غير مرجح). كانت الإدانات الدولية الشديدة من جانب الاتحاد الأوروبي والأمين العام للأمم المتحدة متوقعة، لكن الإدانات القاسية في الولايات المتحدة والكلمات الفظة من المقربين من الحزب الديمقراطي لم يسبق لها مثيل. يتم تصوير إسرائيل كدولة إرهابية إجرامية. ينظر الكثيرون إلى عملية القتل على أنها مؤامرة بين ترامب ونتنياهو لإفشال أحد المكونات الرئيسية لسياسة الإدارة الجديدة، التي تعتقد أن محاولة منع إيران من الحصول على قدرة نووية بالانسحاب من خطة العمل الشاملة المشتركة وتفاقم العقوبات قد باءت بالفشل ؛ بما أن سياسة ترامب، وفقًا لهذا المنظور، لم تؤدِ عملياً إلا إلى إحياء البرنامج النووي الإيراني وجعلت إيران أقرب إلى القنبلة، فإن المسار الصحيح هو العودة إلى اتفاق مدعوم بالتهديد بفرض عقوبات وعمل عسكري. حتى قبل الاغتيال، تلطخت العلاقات بين رئيس الوزراء نتنياهو والحزب الديمقراطي بسبب موقف نتنياهو الفاضح ضد إدارة أوباما وسياساتها، وكذلك علاقته الحميمة مع ترامب والحزب الجمهوري. على هذه الخلفية، تآكل الدعم من الحزبين لإسرائيل بشدة. على الرغم من أن بايدن نفسه ينتمي إلى الجناح المعتدل للحزب الديمقراطي ولديه سجل من الدعم المستمر لإسرائيل، فمن المشكوك فيه أنه سيتمكن من الجلوس في صمت في مواجهة استهزاء رئيس الوزراء نتنياهو به ولحزبه. قد يتعرض بايدن لضغوط شديدة لمقاومة العناصر الأكثر تقدمية في حزبه، والتي يدفع بعضها بالفعل لتغيير السياسة تجاه إسرائيل. بالإضافة إلى ذلك، من المتوقع حدوث مواجهات بين إسرائيل والإدارة الجديدة حول القضايا المتعلقة بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني، إذا لم يغير نتنياهو سياسته في هذا المجال.

تضررت صورة إسرائيل في الساحة الدولية بشكل كبير بسبب الوصف الذي قدمته شخصيات مهمة في الولايات المتحدة لإسرائيل كدولة إرهابية إجرامية تخرج عن الأعراف الدولية المقبولة. على هذه الخلفية، فإن إدانة اغتيال الدول الغربية الأخرى لها أهمية أكبر.

وبعيدًا عن التكاليف السياسية، يجب النظر في رد فعل إيران العنيف المتوقع على إسرائيل، وربما أيضًا ضد الولايات المتحدة ودول الخليج. يمكن أن يقترن ذلك بالتكلفة المنخفضة التي ستدفعها إيران نفسها في الساحة الدولية مقابل أفعالها. إذا تم قبول قتل العلماء النوويين في إيران باعتباره أمرًا مشروعًا، فبالنسبة للكثيرين في العالم، فإن قتل العلماء الإسرائيليين وغيرهم، فضلاً عن ردود الفعل الإيرانية العنيفة الأخرى، سيكون أيضًا

مشروعًا. ومع ذلك، فإن القيادة الإيرانية عادة ما تكون حذرة ومدروسة. قد لا تستجيب إيران لإسرائيل قبل أن تتولى الإدارة الأمريكية الجديدة مهامها، وقد لا تستجيب للولايات المتحدة على الإطلاق حتى لا تدمر احتمالات محادثاتها مع الإدارة الجديدة، على الرغم من أنه من الصعب أن نرى كيف إيران على المدى الطويل. سيصادر ردا على إسرائيل.

في حالة عدم رد إيران قبل تولي بايدن منصبه وعدم رد فعل على الإطلاق تجاه الولايات المتحدة، فهناك فرصة كبيرة في أن يتم تعزيز تصميم بايدن على تنفيذ سياسته من خلال محاولة ترامب ونتنياهو الفظة لإحباط النهج المتوقع للإدارة الجديدة، لحظة قبل أن تبدأ ولايتها. ومن ثم، فحتى هدف إحباط سياسة بايدن قد لا يتحقق.

في الختام، يجب دائمًا النظر في رد الفعل العنيف للعدو والمنافس على أي عمل عنيف تتخذه إسرائيل ضدها، فضلاً عن تكاليف مثل هذا الرد. إسرائيل قادرة على التعامل في عالم الأفعال وردود الفعل، لكن عليها أن تزن المكاسب مقابل المخاطر المحتملة. في قضية اغتيال فخري زاده، من المشكوك فيه أن يسفر هذا التوازن عن نتيجة إيجابية، أو أن القتل سيخدم بشكل كبير هدف الإضرار بالمشروع النووي الإيراني وتأخيره. على أية حال، نأمل ألا تكون الدوافع السياسية المحلية، في كل من إسرائيل والولايات المتحدة، هي الدافع الأساسي للعمل.